



يرى مراقبون أن النظام السوري يحضر لفصل جديد بعد انسحاب تنظيم "الدولة الإسلامية" من مخيم اليرموك، جنوبي العاصمة دمشق، ففي الوقت الذي أعلنت خالله فصائل معارضة سورية "جيش الإسلام والفيلق الأول" القضاء على مجموعات تنظيم "داعش" المتمرزة في أحياء دمشق الشمالية وخروجها الكامل من مخيم اليرموك، يستمر نظام الأسد بالقصف والحصار المستمر منذ أكثر من 650 يوماً على المخيم.

ويقول مسؤول ملف الفلسطينيين في الحكومة السورية المؤقتة، أيمان أبو هاشم، إنه "منذ دخول داعش إلى مخيم اليرموك وانسحابه غير الكامل منه، ثمة فصل جديد هو الأخطر على مصير المخيم، ليس فقط لما وفرته شماعة داعش من تصعيد النظام لحربه ضد المدنيين الصامدين في المخيم، وإنما شروعه عملياً في تنفيذ خطة إخلاء المخيم من ساكنيه، وذلك من خلال وسائل وخطوات متزامنة تصب في هذا الاتجاه".

ومن أبرز هذه الوسائل، لجوء النظام إلى قصف المخيم بالبراميل المتفجرة بصورة غير مسبوقة، بهدف تدمير ما تبقى من بيوته، وترويع من صمدوا في مواجهة أعتى حصار فرضه النظام على المخيم منذ اثنين وعشرين شهراً، لم تشهد له مثيلاً أي منطقة أخرى في سوريا.

ذلك كان لافتاً استثمار النظام بموازاة تصعيد حربه على المخيم، للخلافات والصراعات التي نشب بين "داعش" و"النصرة" من جهة، وبين بقية الكتائب الموجودة في يلدا وببيلا وبيت سحم من جهة أخرى، كي يحرف الأنظار عن دوره

الرئيسي في إجبار سكان المخيم على النزوح إلى حي يلدا المجاور، لا سيما أن قصفه الجنوبي للمخيم في الآونة الأخيرة بات يُفقد الأهالي المنهكين أصلًا بالحصار والتوجيه فرص احتفال البقاء في حيهم لا يُحتمل.

وفي حين انسحب "داعش" الذي اقتحم مخيم اليرموك الشهر الفائت على خلفية اشتباكات مع كتائب "أكتاف بيت المقدس"، ضاعفت قوات النظام وبعض المليشيات المساندة، بما فيها الفلسطينية التابعة لـ "الجبهة الشعبيةقيادة العامة" قصفها، حتى للمناطق المجاورة للمخيم، وهو ما رأه أبو هاشم، خلال حديثه إلى "العربي الجديد"، استهدافاً للوجود الفلسطيني بقوله: "لم يعد نزوح أكثر من ثلث سكان المخيم إلى بلدة يلدا مجرد انتقال إلى جوار أكثر أماناً من المخيم، بل محطة يتم فيها خلق ظروف حياتية مختلفة، بين من نزحوا ومن بقوا داخل المخيم، توطئةً لكسر إرادة الصمود التي اجترحها مخيم اليرموك، رغم كل سياسات البطش والتنكيل التي اتبعتها النظام في مواجهته".

وقد تبدى ذلك جلياً من خلال فرض حصار من داخل الحصار على من يتواجدون في المخيم، ولكن هذه المرة على يد الألوية والكتائب التي ترفض إدخال المواد الإغاثية إلى المخيم، بحجة منع الإمداد عن "داعش" و"النصرة" اللتين بات العداء لهما يتفوق على عداء تلك الكتائب للنظام الذي كان أشغالها بمشاريع الهدن والمصالحات بهدف استنزاف قواها وإضعافها، والعكس صحيح حين أخذت داعش وبنطاق مع النصرة قرار دخول المخيم، فكان النظام المستفيد الأكبر من معارك النفوذ وتصفية الحسابات، وتغطية جرائمها الجديدة بحق سكان المخيم.

ويؤكد أبو هاشم أن هدف نظام الأسد هو تفريغ المخيم من سكانه الثمانية عشر ألفاً وهم آخر من تبقى فيه، قبل موجة النزوح المتواصلة إلى يلدا، وقام بدوره بتسهيل إدخال المساعدات الإغاثية إلى العائلات النازحة إلى يلدا، لتحقيق غرضين متزابطين، أولهما: وضع الأهالي أمام مفاضلة قبول الحد الأدنى من مقومات العيش خارج المخيم، كنازحين ضمن المربع المحاصر في جنوب دمشق، على احتمال موتهم الجماعي داخل المخيم إما قصراً أو جوعاً، ثانيهما: إجبار العائلات التي يجري تشديد الحصار الخانق عليها في المخيم، سواء بسبب النظام المسؤول الأول والأكبر عن مأساتها، أو بسبب تصرفات الكتائب التي تسيطر على الأحياء المجاورة، إلى النزوح إلى حيث يتتوفر الدعم الإغاثي كما هو عليه الحال في يلدا وبيلا وبيت سحم.

ويضيف مسؤول ملف الفلسطينيين: تشي تلك الحقائق والمعطيات، أن خطى النظام الحيثية لإخلاء مخيم اليرموك، ليست مجرد ترتيبات ميدانية، منفصلة عن خطة استراتيجية يسعى النظام من خلالها لتصفية الوجود الفلسطيني في سوريا، والمعلم أن الفصائل الفلسطينية بموافقتها الصامتة والمتوافقة بحال مأساة اليرموك، فضلاً عن مشاركة بعضها عملياً إلى جانب النظام في صنع تلك المأساة وتفاقمها، هي أكثر من ساهم في إطلاق يد النظام لتدمير المخيم وتهجير سكانه على مراحل متتالية، وما كانت مآسي المخيمات الأخرى التي منع النظام عودة الأهالي إليها بعد استعادة سلطنته عليها (مخيم سبينة والحسينية) سوى رسائل صريحة لسياسات التصفية التي ينتهجهها النظام تجاه اللاجئين الفلسطينيين، ومن دون تجاهل الأخطاء الفادحة لفصائل وتشكيارات الثورة السورية، وتحديداً في المنطقة الجنوبية من دمشق التي عجزت عن تحصين البيئة الحاضنة للثورة، ومخيم اليرموك كان مثالاً صارخاً على فشلها في توفير مقومات البقاء والصمود.

ويرى محللون أن نظام الأسد هو من سهل دخول تنظيم "داعش" لمخيم اليرموك المحاصر والممنوع على من تبقى فيه حتى دخول الخيز، لكن دمشق وزعت الاتهامات شرقاً وغرباً ولم تسلم حركة "حماس" من التهمة، والتي ردت على نظام الأسد أخيراً عبر القيادي في الحركة إسماعيل رضوان من أن حركته ترأى بنفسها عن التدخل في "الشأن الداخلي لأي دولة عربية"، مجدداً نفي حركته لأي علاقة لها بتنظيم كتائب "أكتاف بيت المقدس"، في مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين، وأن اتهامات النظام السوري "لا أساس من صحة لها".

وهو ما يراه المسؤول الفلسطيني أبو هاشم تعبيراً، لأن تطورات المشهد السوري، لا سيما بعد الخسائر المتتالية لقوات

النظام في جنوب سوريا وشمالها، وبروز مؤشرات جدية على حالة الإنهاك التي بدأت تعصف بجيش النظام وجبهة الداخلية، من شأنها أن تبعث الآمال باقتراب انهيار النظام وأفول حقبته السوداء، وذلك هو الخيار الوحيد، لإنقاذ سوريا، وما تبقى فيها من وجود فلسطيني.

[العربي الجديد](#)

المصادر: